وظيفة العلاقات الدلالية في انسجام الخطاب الشعري لامية العرب للشنفرى أنموذجا

أ. بختي بوعمامة جامعة أحمد بن بلة وهران1
أ.النعاس سعيداني جامعة سيدي بلعباس

ملخص البحث:

شهدت الدّراسات اللغوية في الآونة الأخيرة تطورات هائلة،إذ تجاوزت حدود الجملة،التي كانت أكبر وحدة لغوية للتحليل إلى فضاء أوسع ،كونها عاجزة عن تقديم وصف عام،وتفسير شامل لمتتالية من الجمل المتماسكة من حيث الشّكل والدلالة،مما جعلهم يدعون إلى انفتاح الدّرس اللساني على دراسة مستوى أعلى من الجملة يتمثل في النّص،ولقد احتل التماسك النّصي(الاتساق و الانسجام) موقعا بارزا ومحوريا في كل الدراسات التي تناولت لسانيات النّص،لكونه شرطا من أجل الحكم على نصية نص من عدمه، وفي هذا السّياق تسعى هذه الدّراسة الموسومة بـ:وظيفة العلاقات الدلالية في انسجام الخطاب الشعري ، على استغلال المفاهيم والإجراءات التي اعتمدها الغربيون في مجال لسانيات النص لمقاربة خطاب شعري عربي قديم(لامية العرب) من خلال الوقوف على أهم العلاقات الدّلالية التّي ساهمت في بناء الخطاب الشّعري وانسجامه.

الكلمات المفاتيح:لسانيات النص، النّص، الخطاب ، الانسجام ،العلاقات الدلالية،الشّنفرى لامية العرب.

Résumé de la recherche:

(La fonction des relations sémantiques dans la cohérence de discours poétique),
Les études linguistiques ont connu récemment un développement considérable où elles dépassent les limites de la phrase qui était considérée comme une unité de sens dans l'analyse linguistique.
Etant incapable de donner une description générale et exhaustive d'une suite de phrases cohérentes dans leur forme et cohésives dans leur signification, les linguistes appellent à l'ouverture de l'étude linguistique sur un niveau supérieur que la phrase, celui du texte.
La cohérence textuelle a occupé une place centrale dans toutes les études linguistiques étant une condition pour juger la textualité d'un texte.
Dans ce contexte, cette étude, intitulée (la fonction des relations sémantiques dans la cohérence de discours poétique), essaie d'exploiter les mêmes concepts et les mêmes procédures adoptés par les Occidentaux dans leurs études dans le domaine de la linguistique textuelle, pour faire une approche textuelle d'un discours arabe (LAMIYAT EL ARABE) en s'arrêtant sur les plus importantes relations sémantiques qui ont contribué à la cohérence de discours poétique .
Les mots clés : La linguistique textuelle, le texte, le discours, la cohérence, les relations sémantiques CHANFARA. (LAMIYAT EL ARABE)

مقدمة:

اهتمت اللسانيات الحديثة لفترة طويلة من تاريخ ظهورها بدراسة الجملة من حيث حدودها وبنيتها ونحويتها من عدم نحويتها ،وغيرها من المستويات ومرد ذلك الاهتمام كون الجملة شكلا لغويا مستقلا عن أي تركيب نحوي آخر واعتبارها أكبر وحدة لغوية، الّتي ترنو إلى دراستها وتحليلها ،فأشتغل اللّسانيون على هذا المجال كل حسب منهجه ،إلى أن تنبه الباحثون أنّ لسانيات الجملة تشتغل في مجال ضيّق ،فهي عاجزة عن تقديم وصف عام،وتفسير شامل لمتتالية من الجمل المتماسكة من حيث الشّكل والدلالة، مما جعلهم يدعون إلى انفتاح الدّرس اللساني على دراسة مستوى أعلى من الجملة يتمثل في النّص ، ضمن مجال علم جديد سميّ "بلسانيات النّص"،والذي يتكفّل بدراسة تماسك النّصوص،فالنّص وحدة لغوية نوعية ميزتها الأساسية الاتساق والانسجام بالإضافة إلى دراسة مدى تأدية هذه النّصوص وظيفتها التبليغية لمقاصد مؤلفيها ضمن سياقات محددة.

وتعتبر العلاقات الدلالية من أهم الروابط النّصية الّتي يرتكز عليها النَّصّ في انسجامه، سواء اعتمد النّصّ على وسائل اتّساقيّة شكليّة أم لم يعتمد،" حيث ينظر للعلاقات التي تجمع بين أطراف النص أو تربط بين متواليات دون وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة،ينظر إليها على أنّها علاقات دلالية، مثال ذلك علاقة لعموم/الخصوص،السبب/المسبب،المجمل/المفصل" ...،فلا يخلو منها أي نص يعتمد على الربط القوي بين أجزائه، بيد أن النص الشعري قد يوحي بعدم الخضوع لهذه العلاقات، ولكنه مادام نصا تحكمه شروط الإنتاج والتلقي فإنه لا يتخلى عن هذه العلاقات، وإنما الذي يحصل هو بروز علاقة دون أخرى"[1].، والوظيفة التي يقدمها مفهوم العلاقات في النص هي ربط أجزاء النص والعمل على استمرارية الدلالة، فتعمل تلك العلاقات على ترتيب و" تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية هذا الخطاب" [2] فالعلاقات الدّلالية تعد خريطة للوصول إلى القضايا في النّص " فإذا كانت القضايا هي لبنات الخطاب ، فإنّ البحث في علاقات الخطاب يتعلق بتلك الروابط بين هذه اللّبنات" [3].

وقد اخترنا لدراسة هذه الروابط النصية خطابا شعريا قديما يتمثل في لامية العرب للشّنفرى وهو من الشعراء الصّعاليك، الذين يعتبر خطابهم الشعري مرحلة مهمة من مراحل تطور الخطاب الشعري الجاهلي ،فهي مرحلة تحول فكري ونفسي واجتماعي لهذا النوّع من الشعر كان رّواده جماعة من الشّعراء حملت روح التمرُّد ليس فقط على أقوامهم وإنما على القوالب التقليدية أيضاً، التي بنيت عليها القصيدة العربية لدى شعراء البادية الأوائل، ففي شعر الصعاليك لا يلاحظ القارئ وقفةً على الأطلال ولا حنيناً إلى ديار المحبوبة، إنما يقرأ نبرة التمرد على الواقع الاجتماعي والاقتصادي، لدى أولئك الصعاليك، كما يقرأ افتخاراً بالقيم النبيلة وتبريراتٍ لتصعلكهم.

وفي "لامية العرب"نجد أنّ الروابط الدلالية تتمثّل في مجموعة من العلاقات وسنقف على أبرز هذه العلاقات :

1/1-علاقة الإجمال والتفصيل:

" تعني إيراد معنى على سبيل الإجمال ثم تفصيله أو تفسيره" [4]، وتعد هذه العلاقة "إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة " [5] ، إذ تعمل على اتصال القضايا بعضها ببعض عندما تكون الدلالة الأولى مكثفة وتأتي الأخرى مفصلة لها، إذ تكون دلالة التفصيل كدلالة التعريف" [6]، فعلاقة الإجمال والتفصيل تقوم بالربط بين أجزاء الخطاب من خلال ربط بنية بعدد من البنيات،وذلك لأنَّ الإجمال غالباً ما يكون موضوعا على بنية نصية واحدة والتفصيل موزعا على عدد من البنيات النصية، فقد ترد القضية مجملة ويتبعها التفصيل فتكون الدلالة مستمرة.

ولقد اعتمد الشّنفرى على هذه العلاقة في بناء نصّه الشّعري، في ضوء ذكر قضية عامة، أو مجملة ثم يأتي بالتفصيل بعدها، مكوناً أشبه ما تكون بالشبكة من القضايا التفصيلية التي تعود جميعها إلى أصل واحد مجمل ومن أمثلة ما جاء في لامية العرب قول الشّنفرى:[7]

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون : سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

في هذا البيت ذكر الشاعر لفظا يدل على الإجمال وهو(أهلون)،ثم بدا يفصّل ويبين أهله الجدد الذين استبدل بهم قومه،حين ذكر (سيّد/أرقط/عرفاء)، فقد اختار مجتمعا غير مجتمع الناس جميعا، انه مجتمع الوحوش، يعايش الحيوان المفترس والأسد الضاري، والنمر الأرقط، والضبع، " ويبدو أنّه ألف هذه الوحوش وعرف طبائعها، ولذلك وصفها وصفا كاملًا يخفي وراءه شعورا بالألم" [8] ، وفي قوله كذلك:[9]

ثَلاَثَةُ أَصْحَابٍ : فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

وفي هذا التركيب تفصيل بعد إجمال،حين ذكر لفظ(أصحاب)، ثم بدأ يفصل حيث قال في صدر هذا البيت ثلاثة أصحاب وفصّل في تلك الصّحبة (فؤاد،أبيض،صفراء) هؤلاء جميعا هم الصحبة الذين يُؤْثرهم على قومه ويفضلهم على الناس جميعا.

ويقول أيضا:[10]

هَتُوفٌ مِنَ المِلْسِ المُتُونِ تَزِينُها رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها وَمِحْمَلُ

إذا زَلَّ عنها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها مُرَزَّأَةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وَتُعْوِلُ

ثم بعد هذا التفصيل في الأصحاب، اختار لنا الشنفرى واحدا من هؤلاء الأصحاب الثلاثة الذين لا يخذلونه، إنها قوسه التي أجمل وصفها في لفظ (صفراء)،ثم بدا يفصل بعد هذا الإجمال(هَتُوفٌ مِنَ المِلْسِ)، (تزينها)،(حنّت)،(ترّن)،(تعول)،فقد شبّهها بالثكلى التي توالت عليها المصائب، فالبيتان هما تفصيل للبيت الأول الذي ذكرت فيه القوس(صفراء)، فهما مرتبطان دلالياً بالمعنى العام، وبذلك يتضح انسجام البنية النصية للأبيات الثلاثة.

ويقول في أبيات أخرى مشبها نفسه بذئب نحيل وراح يصف لنا ذاك الذئب :[11]

وأَغْدُو على القُوتِ الزَهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أَطْحَلُ

غَدَا طَاوِياً يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِياً يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعَابِ ويُعْسِلُ

في البيت الأول شبّه الشاعر نفسه بذئب نحيل حين ما أجمل الوصف بلفظة (أزل)،ثم راح يفصل بتقديم أفعال تبيّن صفات الذئب النّحيل،(غدا طاويا)،(يعارض الريح)،(يخوت)،(يعسل)،فالبيتين مرتبطين فيما بينهما، بسبب أنّ الثاني تفصيل للأول وهذا الترابط زاد في تماسك المقطع واتّحاده.

2/1-علاقة السّبب والنتيجة :

هي من العلاقات التي تربط جملة بسبب أخرى،فتساهم في وحدة أجزاء الجملة الواحدة، أو في مجموعة من الجمل، وهي " من العلاقات التي تعطي معقولية لكيفية تتابع قضايا النص النص، ونسميها دائما بسمة المنطقية خاصة وأنها قضايا صغرى، وهذا يدلّ على أن الكاتب لا يتعامل منطقيا بذكر سبب ما أو نتيجة إلا على مستوى الأفكار العامة والقضايا الكبرى. فقد شغل أثناء كل قضية منفصلة باستقصاء جزئياتها وعناصرها بشكل تراكمي، ثم انه يفسّر منطقيا سبب وجود هذه العناصر ككل، أو ما قد تؤدي إليه من وجود عناصر أخرى في قضية كبرى" [12]، فهي إذا علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر.

ومن أمثلتها ما جاء لامية العرب:[13]

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بَأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ

ترتبط قضية السبب بقضية النتيجة دلالياً؛ لأن القضية الثانية ناتجة عن الأول، وقد تمثلت قضية السبب في (إن مدّت الأيدي إلى الزاد)،وكانت النتيجة(لم أكن بأعجلهم)، ويؤكد الشّنفرى على عفّته والبعد عن الجشع .

وكذلك في قوله:[14]

إذا الأَمْعَزُ الصَّوّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منه قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ

ففي صدر البيت تمثل السّبب، وفي عجزه جاءت النتيجة.فتطاير الحصى والحجارة كان بسبب احتكاك أرجل الشنفرى وهو دلالة على سرعة عدوه .

وفي قوله أيضا:[15]

فَلَما لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

نلاحظ أن أنّ الشنفرى ربط استغاثة الذئب لنظرائه من الذئاب الأخرى وهي نتيجة ظهرت بعد مسبب لها وهو فعل الجوع .
كما نشير هنا أيضا أنّ (دعا) هي سبب ونتيجة هذا السبب استجابة الذئاب لدعوة الذئب،فقد عملت (الفاء) على الربط،" إذ تعد أكثر الأدوات شيوعا، فهي تعمل على الرّبط بين الجمل في النّص من خلال علاقة السّبب والنتيجة،حيث تتداخل الأخيرة مع علاقات الربط الأخرى في بناء المشاهد الرئيسية في النّص"[16].
ومن أمثلة التي عملت فيها الفاء على الرّبط قول الشنفرى:[17]

تَوَافَيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا كما ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَارِيمِ مَنْهَلُ

فلمّا اجتمعت طيور القطا حول مكان تجمع الماء ضمّها،فالجملة (توافين من شتى إليه) سبب،ونتيجة هذا (ضمَّها)، وقد لعبت الفاء كما اشرنا سابقا دور الرّبط بين أجزاء الجملة الواحدة،نتيجة لعلاقة السبب والنّتيجة.

3/1-علاقة الشرط بالجواب:

هي العَلاقة الّتي تجمع بين جملتين تكون الأولى شرطًا والثّانية جوابًا للشّرط. " وتُؤَدَى هذه العلاقة بأدوات الربط النحوية نحو (لو، لولا، إذا، إنْ)" [18]،ومن الأمثلة التي ورد فيها في لامية العرب قول الشنفرى:[19]

ولولا اجْتِنَابُ الذَأْمِ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعَاشُ به إلاّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

والشّرط هنا جاء جملة اسمية خبرها محذوف تقديره(موجود)،أما جواب الشرط فهو (لم يلف مشرب يعاش به...)،فقامت هذه العلاقة بالرّبط الدّلالي بين الفعل وجوابه وهذا بفضل أداة(لولا)، وتقدير الكلام أنّ الشّنفرى لولا تجنّبه الأفعال الذميمة و التّرفع عنها،لكان عليه الأمر سهلا في جمع قوته بالتّسول.
وقوله أيضا:[20]

فإنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسْطَلٍ لَمَا اغْتَبَطَتْ بالشَّنْفَرَى قَبْلُ أطْوَلُ

في هذا التركيب نلاحظ أنّ علاقة الشّرط بجوابه علاقة تقابلية،بين الصدر وعجزه بحيث ربطت أداة الشّرط (إن) بين شطري البيت، قال الشّنفرى لو حزنت أم قسطل(الحرب) لفراقه، لما كانت مسرورة سابقا،فكانت تلك العلاقة الدلالية الرّابطة بين الحزن والفرح، علاقة الرّبط بين نقيضين بسبب الشّرط وجوابه.
كما نجده هذه العلاقة في قوله:[21]

فإمّا تَرَيْنِي كابْنَةِ الرَّمْلِ ضَاحِيَاً على رِقَّةٍ أحْفَى ولا أَتَنَعَّلُ
فإنّي لَمَولَى الصَّبْرِ أجتابُ بَزَّهُ على مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ والحَزْمَ أفْعَلُ

في هذا المثال نلاحظ أن جملة الشرط قد طالت، ولم نلمس جواب الشرط إلا في البيت الثاني، فعملت أداة الشّرط(إن) على الرّبط بين البيتين ضمن الدلالة الشرطية فكانت العلاقة بينهما علاقة دلالية تلازمية، بحيث تلازم جواب الشّرط لوقوع فعل الشّرط ودونه لا يتحقق،فالفقر الذي يعانيه الشّنفرى هو ملازم لصبره.

4/1-علاقة السّؤال والجواب:

" تؤدِّي عَلاقة السّؤال بالجواب مجموعة من الوظائف داخل النّصّ، و فهي تقوم بدور أساسي في بناء الحوار الداخلي في النَّصّ عبر أدوات الاستفهام (الهمزة، وهل، وأين، وما، وماذا" [22] نحو قول الشّنفرى:[23]

فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أذِئْبٌ عَسَّ أمْ عَسَّ فُرْعُلُ؟

فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أمْ رِيعَ أجْدَلُ؟

تمثّل علاقة السّؤال والجواب إحدى العلاقات التّي يستعين بها الشّاعر في بناء قصيدته، مع الملاحظ انعدامها كلية في القصيدة ما عدا هاذين البيتين المذكورين،فجعل الشّنفرى السؤال وجوابه حوار جرى بين القوم على لسانه،فقال إنّ القوم الذين أغار عليهم جعلهم يتساءلون عن هرير الكلاب هل هو بسبب ذئب أم فرعل،ثم كان جوابهم أنّ الهرير كان خافت ولم يستمر فعادت كلابهم للنوم، ثم تساءلوا لعل الذي نبحت فيه كلابهم قطاة أو صقر،وهنا يتبيّن لنا دور علاقة السؤال وجوابه في الرّبط بين الجمل في القصيدة فيحقق لها التّماسك الدّلالي.

خاتمة:

كان للعلاقات الدلالية مساهمة في انسجام الخطاب الشعري لامية العرب، من خلال: علاقة الإجمال بالتفصيل، وعلاقة السبب بالنتيجة، وعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة الشرط بالجواب، فهذه العلاقات شدت الأبيات ولمت أجزاء النص و خضعت لاتفاق دلالي، مرتبط بوحدة النص.

الهوامش:

[1] محمد خطابي لسانيات النّص،مدخل إلى انسجام النّص،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب،ط1، 2006 م ص:268-269

[2] أحمد مداس،لسانيات النّص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعري،عالم الكتب الحديث،الأردن، ط2، 2009 م،ص:83

[3] عزة شبل،علم لغة النّص،النظرية والتطبيق،مكتبة الآداب القاهرة،مصر،ط2،2007 م ،ص:187

[4] جميل عبد المجيد،بلاغة النص،مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب للنشر،القاهرة،مصر، ط1 ،1999م،ص:17

[5] محمد خطابي لسانيات النّص،مدخل إلى انسجام النّص ،ص:272

[6] خليل بن ياسر البطاشي،الترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،دار جرير للنشر والتوزيع،الأردن،عمان،ط1، 2009 م، ص:123

[7] الشّنفرى الديوان ،تحقيق إميل بديع يعقوب،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،،ط1،1991م ،ص:59

[8] السيّد أحمد عمارة،دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق،مكتبة المتنبي،مصر/القاهرة،د.ط،ص:13

[9] الشّنفرى،الديوان ،ص:60

[10] الشّنفرى،الديوان ،ص:60

[11] الشّنفرى،الديوان ،ص:63-64

[12] حسام أحمد فرج،نظرية علم النّص رؤية منهجية في بناء نص نثري،مكتبة الآداب،القاهرة،دط،2008م،ص:143،144

[13] الشّنفرى،الديوان ،ص:59

[14] الشّنفرى،الديوان ،ص:62

[15] الشّنفرى،الديوان ،ص:64

[16] عزة شبل، علم اللغة النّص النظرية والتطبيق،ص:165-166

[17] الشنفرى، الديوان،ص:67

[18] عزة شبل،علم اللغة النص،:212

[19] الشّنفرى،الديوان،ص:63

[20] الشّنفرى،الديوان ،ص:67

[21] الشّنفرى،الديوان ،ص: 68-69

[22] عزة شبل،علم اللغة النص ،ص:207

[23] الشّنفرى،الديوان ،ص:70